بيان المتشابه اللفظي في جملة الفاصلة:

اتّصالُ الآيةِ الأولى بما قبلَها معنويٌّ، واتّصالُ الثّانيةِ بما بعدها لفظيٌّ ومعنويٌّ

أثارَ المفسّرون سؤالًا وجيهًا في إطار الموازنة بين قوله تعالى - في أول السورة - : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: 9]، وقوله تعالى - في آخر السّورة - : ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾، وكلاهما خطابٌ؟ قال الكرمانيّ: "والجوابُ عنه من ثلاثةِ أوجهٍ: أحدها: أنّ أوّل السّورةِ، قد تقدّم فيه ذكرُ اللّه سبحانه وأوصافه مرّةً بعد أخرى صريحًا، ولم يتقدّم ذكرُ الكنايةِ إلّا مرّةً، فعدلَ من الخطابِ إلى الغيبةِ لأنّها الأغلبُ، وأمّا آخر السّورة، فالغلبةُ للكنايةِ، فثبت عليها، والثّاني: أنّ اتّصالَ ما في أوّلِ السّورة، بما قبلَها معنويٌّ، وتقديره: (فَقِنا شرَّه)، وهو المطلوب، بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾، وقيل: المطلوبُ التّثبيتُ على الهداية، وإنّ اتّصال ما في آخر السّورة لفظيٌّ ومعنويٌّ، وهو قوله: ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾، والثّالث: أنّ ما في أوّل السّورة استئنافٌ من اللّه، يجري مجرى الاستجابةِ، وأنّ ما في آخر السّورة حكايةٌ عنهم، ثمّ ذكر عقيبها: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [آل عمران: 195]"[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعطاء

سبقَ بيانُ الفرقِ بين هذيْن الفعليْن في فِقرة: الفروق المعجميَّة، وتبيَّن لنا أنَّ الإيتاءَ أوسعُ دَلالاتٍ من الإعطاء، فهو يتعلَّقُ بالذَّاتِ والأمرِ والتَّدبيرِ، والأعيانِ والأعراضِ، وغيرِها، ممَّن لا يَملِكُها على وجهِ الحقيقةِ إلَّا الرَّبُّ الخالقُ - ﷻ - ؛ ولذلكَ كانَ من الأَنْسبِ والأَوْلى، أن يتوجَّه هؤلاء الدّاعون إلى اللّه بقولِهم: ﴿وَءَاتِنَا﴾، وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾: قيل معناه: " وتؤتينَا ما وعدتنَا على

(1) الكرمانّي، غرائب التّفسير: 1/243 - 244.

ألسنِ رسلِك، من الفضلِ والرّحمةِ، والثّوابِ والنّعمةِ، وقيل معناه: واجعلنَا ممّن تُؤتيهم ما وعدتَ على ألسنةِ رسلك، ويستحقّون ثوابَك، لأنّهم ما تيقّنُواْ استحقاقَهم لهذه الكرامةِ، فسألوه أن يجعلَهم مستحقّين لها، ولو كان القومُ قد شهدواْ بذلك لأنفسِهم، لكانواْ قد زكّوها، وليس ذلك من صفةِ الأبرارِ"[1].

الوَعْد والعَهد

سبقَ البيانُ في فِقرة: شرح المفردات أنَّ الوعدَ يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ، وإنْ كانَ يُطلقُ أكثرَ على الوعدِ بالخير، وأمَّا العَهْدُ، فهو حفظُ الشَّيءِ، ومراعاتُه حالًا بعدَ حال[2]، ويُنظَرُ في العهدِ وجودُ طرفَين مُتعاقِدَين، والعهدُ فيه معنَى الإلزام، يُقال: عَهِدتُ إلى فُلانٍ بكذا، أي: ألزمتُه إيَّاه، ويُقالُ: عاهدَ العبدُ ربَّه[3]، وبناءً على ما تقدَّم؛ كان من الأَلْيقِ في سياقِ النَّصِّ القرآنيِّ، وهو مقامُ دعاءِ أولي الألبابِ لربِّهم وخالقِهم، مُتضرِّعينَ مُبتهلينَ إليه، خاضعينَ خاشعينَ بين يديه، أن يتوجَّهوا له ﷻ، أن يؤتيَهُم ما وعدَهُم من الخيرِ في الدُّنيا والآخرة، في كتابِه الكريم، وعلى لسانِ رسولِه الأمين ﷺ، وليسَ في دعائهم تصوُّرُ وجودِ طرفين متعاقدين، أو إلزامُ لربِّهم كما هو معنَى العهد، وإلَّا لا يكون هذا دعاءً فيه تذلُّلٌ وخضوعٌ، وأمَلٌ بالإجابة، ولكنَّه سوءُ أدبٍ مع الله، وكِبْرٌ والعياذُ بالله.

الخِزْي والذُّلّ

سبقَ بيانُ الفرقِ بين الكلمتَيْن في فِقرة: الفروق المعجميَّة، والَّذي يسُدُّ بُلغَتَنا هنا في هذا المقام، أنَّ المؤمنينَ دَعَوا ربَّهم بِتضرُّعٍ وخُضوعٍ أنْ لا يُخزِيَهم؛ لأنَّ الخِزيَ ذلٌّ مع افتضاحٍ، ويَلحقُ صاحبَه به انكسارٌ واستخفافٌ وهَوان[4]، وهذه المعاني لا تستوعبُها كلمة (الذُّلُّ) الَّتي تعني ما كان عن قَهرٍ وتصعُّب[5]؛ فلذلكَ كانُواْ حريصينَ في دعائِهم، أن لا يُصيبَهم أيُّ خِزيٍ بأيِّ معنًى من معانيه.

(1) النّعلبيّ، الكشف والبيان: 3/234.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 591.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 365.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 215.
(5) الرّاغب، المفردات، ص: 330.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: 195]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقة بين دعاء الصّالحين، واستجابة الله لهم بالثّواب والجنّات يوم الدّين

لمَّا ذكر الله ﷻ دعاءَ عبادِه المؤمنينَ، وتضرُّعَهم إليه، وإلحاحَهم في هذا الدُّعاء، وكانوا في ذلك مستحضرين عظمةَ الله (ﷻ)، مُستَفتِحين دعاءهم بالثَّناء عليه، وتنزيهِه سبحانه، ذكَرَ ما ترتَّب على هذا الدُّعاء مِن استجابة الله تعالى لهم[1]، بستر ما ارتكبوه من المعاصي في الآخرة، كما سترها عليهم في الحياة الدّنيا، فلا يحاسبهم عليها، بل سوف يكفّر عنهم سيّئاتهم، ويدخلهم جنّات تجري من تحتِ قصورِها الشّامخة، وأشجارِها السّامقةِ، الأنهارُ الجاريةُ، جزاء وفاقًا من عند الله، والله عنده حسن الثّواب[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسۡتَجَابَ﴾: الجواب هُوَ "مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ، يُقَالُ: كَلَّمَهُ فَأَجَابَهُ جَوَابًا، وَقَدْ تَجَاوَبَا مُجَاوَبَةً، وَالْمُجَابَةُ: الْجَوَابُ، وَيَقُولُونَ فِي مَثَلٍ: (أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَّةً)[3]، والجيم والواو والباءُ، تدلُّ تصاريفُهُ على مراجعة الكلام[4]، ومنه الجوابُ؛ إذ هو خاصٌّ بما يرجع مِنَ الكلام دون المُبتَدأ مِنَ الخطاب، وهو مقولٌ في مقابلة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/160.
(2) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 76.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جوب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جوب).

السُّؤال، ثُمَّ إنَّ السُّؤالَ ضربان: أحدهما: طلبُ مقالٍ، ويكونُ جوابهُ بمقالٍ مثلِه، والآخر: طلب نَوالٍ، ويكونُ جوابُهُ النَّوالَ[1]، الاستجابةُ بمعنى: الإجابَة؛ يُقالُ: استجابَ اللّٰه دعاءَهُ؛ أي: أجابَهُ[2]، ومعناه: قَبِلَهُ[3]، وقبولُهُ في دعاء المسألة: يكونُ بإعطاء العبد سُؤلَهُ، وقَبُولَهُ في دُعاء العبادَةِ: بالإثابة عليه[4]، قال الشّاعر كعب بن سعد الغنويّ:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى *** فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ رِفْعَةً *** لَعَلَّ أَبَا الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ[5]

2) ﴿أُضِيعُ﴾: "الضَّاد والياء والعين، تدُور اشتقاقاتُها على فوت شيءٍ وذهابِه وهلاكِه"[6]، ومنه قولُهم: ضاع الشَّيءُ إذا هلكَ[7]، والضَّيعَةُ والضَّياعُ: الإهمال[8]، يُقال: عيالٌ ضُيّعٌ؛ أي: مُهمَلون من الرِّعاية والتَّفقُّد[9]، وضاع الشّيء، أي هلك، ومنه قولهم: فلان بدارٍ مَضيعَةٍ، قال يعقوب: قولهم في المثل: (الصّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَن)، خوطبت به امرأة، كانت تحت رجل موسر فكرهته لكبره، وفارق السّنّ بينهما، فطلّقها فتزوّجها رجلٌ فقيرٌ، فبعثت إلى زوجها الأوّل، تستميحه، لعلّه يراجعها، فقال لها هذه العبارة الّتي صارت مثلًا[10]، وإضاعةُ المال: إنفاقهُ فيما حرَّم اللّٰه تعالى؛ لأنَّ في ذلك إتلافًا للمال من غير عِوَضٍ عاجلٍ أو آجلٍ[11]. ومنه قولُ اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: 143]، قال ابنُ جرير: "وإضاعتُه إيَّاه جلَّ ثناؤُه - لو أضاعَها - تَركُ إثابة أصحابه وعامِليه عليه، فيذهَب ضياعًا، ويصير باطِلا كهيئة إضاعة الرَّجُل مالَه، وذلك إهلاكهُ إيَّاه فيما لا يَعتاضُ منه عِوَضًا في عاجل ولا آجل"[12]، ومعنى الإضاعة في قول اللّٰه تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾، كمَعْنَاها في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ﴾.

(1) الرّاغب، المفردات: (جوب).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (جوب).
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (جوب).
(4) صالح آل الشَّيخ، التَّمهيد لشرح كتاب التَّوحيد، ص: 180.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (جَوَبَ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضيع).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (ضيع).
(8) ابن سيده، المحكم: (ضيع).
(9) الزَّبيديّ، تاج العروس: (ضيع).
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (ضيع).
(11) القاضي عيّاض، مشارق الأنوار: (ضيع).
(12) ابن جرير، جامع البيان: 3/169.

3) ﴿هَاجَرُواْ﴾: من هجر، وتدلُّ تصاريفُها على معنَيَينِ كُلّيَّين؛ أحدهما: قطعٌ وقطيعةٌ، والآخَرُ: شدُّ شيءٍ ورَبطُه[1]. ومنه الهَجرُ والهِجران؛ وهو مفارقةُ الإنسان غيرَه، إمَّا بالبدن، وإمّا باللِّسان وإمّا بالقَلب[2]، و"الهجر: ضدّ الوصل، وقد هجره هجرًا وهجرانًا، والاسم الهجرة... والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثّانية، والتّهاجر: التّقاطع"[3]، والهُجر: الإفحاش في المَنطِق والخَنا[4]، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه ممَّا ينبَغي تَركُهُ وقطيعَتُهُ. و(هاجَرَ) مِن المُهاجَرة؛ وهي: تركُ أرضٍ إلى أرضٍ أخرى[5]، ثُمَّ خُصَّت في الشَّرع بالانتقال من بلد الشِّرك إلى بلد الإسلام[6].

4) ﴿وَأُوذُواْ﴾: من (أَذَيَ) تدُور تصريفَاتُها على شيءٍ يُتَكَرَّهُ ولا تقِرُّ عليه[7]، والاسْمُ الأَذِيَّةُ والأَذاةُ، وقد أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ:

وَلَا تَشْتُمِ المَوْلَى وتَبْلُغْ أَذاتَهُ *** فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ تُسَفَّهْ وتَجْهَلِ[8]

والأَذَى والأذيَّةُ: المكرُوه اليَسِير[9]، ومنه قول الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: 111]، والمعنى: أنَّه أذًى يُعتزَلُ منه، ولا يتعدَّى موضعَهُ إلى غيره[10]، وكلُّ ما في القرآن مِنَ الأذى والإيذاء؛ فمعناهُ الإيلامُ النَّفسيّ أو البدنيّ غير الشَّديد[11]، والأذى في قول الله تعالى: ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ شامِلٌ لكلِّ أذًى؛ وهو المَكروه اليَسيرُ، وإذا كان الله تعالى يُثيبُهم على ما أصابهم مِنَ المكروه اليسير، فإثابَتُهم على ما حلَّ بهم مِنَ الضَّرر أولَى وأوفَى[12].

5) ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾: من لفظ (كَفَرَ) تدلّ تصريفَاتُهُ على السَّترِ والتَّغطيةِ، ومنه سُمِّي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).
(2) الرّاغب، المفردات: (هجر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (هجر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (هجر).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (هجر).
(6) قد تكون الهجرةُ مِن بلدِ كُفرٍ إلى بلد كفرٍ آخرَ يكون آمنًا، إذا عُدِمَت بلادُ الإسلام، كما في هجرة المسلمين إلى الحبشة. يُنظر: السَّفّارينيّ، لوائح الأنوار السَّنِيَّة: 2/86.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أذي).
(8) ابن سيده، المحكم: (أذي).
(9) الزَّبيديّ، تاج العروس: (أذي).
(10) بطَّال الرَّكبيّ، النَّظم المستعذَب: 1/45.
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أذى).
(12) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/205.

الكافرُ كافرًا؛ لأنَّهُ يستُرُ نعمةَ اللّه عليه، وهو جاحدٌ لها بكُفره، ويُقال: كفَرَ البذرَ إذا زرَعَهُ؛ لأنَّه بزراعتِهِ يُغطِّيه[1]، وكلُّ الألفاظ المشتقَّة مِنَ الكُفرِ راجعةٌ إلى معنى السَّترِ، ومنهُ: اللَّيل، والبَحرُ، والسَّحاب المُظلِم، والزَّارِعُ، والزَّرعُ؛ فإنَّ الجميعَ يُسمَّى: كافرًا[2]، وذكر أبو موسَى المدينيُّ قَيدًا في السَّترِ والتَّغطية اللَّذَين هما أصلُ معنى الكُفرِ، فذكر أنَّ الكُفرَ التَّغطيةُ تَغطيَةً تَستَهلِكُهُ، كتغطيةِ الزَّارعِ الحَبَّ الّذي يَزرَعُه[3]، فالكفرُ: تغطيةٌ تامَّة كَثِيفة لا يظهر معها شيءٌ مِنَ المُغَطّى[4]، والفعل (أكفَّر) مصدرُهُ: التَّكفير - على القياس-، وهو راجعٌ إلى المعنى المُتقدِّم، وتكفيرُ الذُّنوب: سترُ اللّهِ تعالى لها وتغطيته إيَّاها بحِلمِهِ حتَّى لا يظهرَ لها أَثرٌ[5].

6) ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: مفردها (السَّيِّئَة): نقيض الحسنة، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ [فصّلت: 34]، أي الحسنة والسّيّئة[6]، والسِّين والواو والهمزة تدور اشتقاقاتُها على القُبحِ، ومنه سمِّيت النَّارُ سُوأَى؛ لقُبحِ منظَرِها[7]، وقيل لفَرْجِ الرَّجُلِ أوِ المرأةِ: سَوأَةٌ؛ لأنَّ الفطرَةَ السَّوِيَّةَ تَستَقبِحُ إظهارَها[8]. وسُمِّيت السَّيّئةُ سَيِّئَةً؛ لأنَّها عملٌ قبيحٌ[9]؛ وهي الخصلة الّتي تَسوءُ صاحبَها إذا رآها في صَحيفَتِه يوم القيامة[10]، وحقيقةُ السَّيِّئة عند الإطلاق: أنَّها ما يُذمُّ فاعلُها شرعًا صغيرةً كانَت أم كبيرة[11].

7) ﴿جَنَّتِ﴾: الجيمُ والنُّون أصلٌ يدُلُّ على السَّتر، ومنه: الجنَّةُ في الدُّنيا، وهي البُستان؛ لأنَّ الشَّجرَ بوَرَقِهِ يستُرُ، والجَنَّةُ في الآخرة: ثَوابٌ مَستورٌ عنَّا اليَومَ[12]. والجَنَّة: الحديقَةُ ذات الشّجَر والنَّخل، وذكر أَبو عَليٍّ بين الحديقَة والجنَّة؛ بأنَّ الجنَّةَ في كلام

(1) عِيّاض، مشارق الأنوار: 1/345، وابن مالك، إكمال الإعلام: 2/546.
(2) الكفوِيّ، الكلِّيّات، ص: 763.
(3) المدِينيّ، المجموع المغيث: (كفر).
(4) المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (كفر).
(5) الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 5/573.
(6) نشوان الحِميري، شمس العلوم: 5/3299.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوء).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (سوأ).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوأ).
(10) الشِّنقيطي، العذب النَّمير: 2/612.
(11) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 10/158.
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جن).

العرب لا تُسمَّى كذلك إلَّا إذا كان فيها نَخيلٌ وعِنَبٌ، فإن لم يَكن فيها ذلك وكانَت ذاتَ شَجَرٍ؛ فهي حديقةٌ ولَيسَت بجَنَّةٍ[1]. والجنَّة في الآخرة: «فيها ما لا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ»[2].

8) ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جمع نهر، ويعبّر بنَهَرٍ عن الجمع، وقوله تعالى: (في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)، أي أنهار، وقد يعبّر بالواحد عن الجمع، كما قال تعالى: (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: 45][3]، والنُّون والهاء والرَّاء، تدُلُّ تصاريفها على تَفَتُّح شيءٍ أو فَتحِه، ومنه سُمِّيَ النَّهرُ، وجَمعُهُ: الأَنهارُ، وهو مِن مجاري المياه، وأيضًا؛ لأَنَّه يَنهَر الأَرضَ، أي: يشقُّها[4]، وهذا أصلُ التَّسمية، وإلَّا فإنَّ المرويَّ في الآثار أنَّ أنهارَ الجنَّة تَجري مِن غَير أُخدُودٍ[5].

9) ﴿ثَوَابًا﴾: (الثَّواب) و(المثوبة) جزاء الطَّاعة، قلت: هما مطلق الجزاء، كذا نقله الأزهريّ وغيره، ويعضده قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفّفين: 36]، أي جُوزُوا؛ لأنّ ثَوَّبَهُ بمعنى أثابه، وقوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 60][6]، والثَّاء والواو والباء تدور اشتِقاقاتُها على معنى العَودِ والرُّجوع[7]، ومنه: المثابةُ وهي المَنزِلُ؛ لأنَّ أهلَهُ يَثوبون - أي: يَرجِعون - إليه، ومنه قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 125]؛ أي: مَرجِعًا ومجتمَعًا. والثَّوابُ: ما يعود على الإنسان من جَزَاء عمله[8]، والغالبُ استِعمالُهُ في جزاء العمَل الصَّالح[9]، ويُطلَق الثَّواب، ويُرادُ به: الإثابةُ[10].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أجاب الله تعالى دُعَاءَهم: دعاءَ العبادةِ ودعاءَ المسألة، وقال: إنِّي لا أُضِيعُ جهدَ مَن عَمِل عمَلًا صالحًا، ذكرًا كان العاملُ أم أُنثَى، فالجميع على حدٍّ سواءٍ في الأجور والخيرات،

(1) ابن سيده، المحكم: 7/218.
(2) مسلم، الحديث رقم: (2825).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وكذلك: الرّازيّ، مختار الصّحاح: (نهر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهر)، وابن سيده، المحكم: (نهر).
(5) ابن القيّم، حادي الأرواح، ص: 178 - 179، وابن القيّم، الكافية الشّافية، ص: 326، والألبانّي، سلسلة الأحاديث الصّحيحة: 6/47 - 48.
(6) مختار الصّحاح: (ثوب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوب).
(8) القاضي عيّاض، مشارق الأنوار: (ثوب).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ثوب).
(10) الخفاجيّ، عناية القاضي: 3/92.

فالّذين فارَقوا أوطَانَهم رغبةً فيما عندَ اللّهِ تعالى والتِماسًا لرضاهُ، وأخرَجهم أقوامُهم إمَّا بصريح القَول وإمَّا بالإلجاء، وأُوذُواْ في طاعتهم ربَّهم وعبادتهم إيَّاه مُخلصِين له الدِّينَ، وقاتَلُواْ لتكون كلمةُ اللّه هي العُليا، وقُتلواْ في سبيل ذلك؛ ليَستُرَنَّ اللّه تعالى ما فَعَلوه مِنَ المعاصي فيمحُوها عنهم ولا يُحاسبهم عليها، ولَيُدخلنَّهم جنّاتٍ تجري مِن تحت قصورِها وأشجَارِها الأنهارُ، جزاءً منه لهم على ما عَملوا وأبلَوا في اللّه تعالى وفي سبيله، واللّه ﷻ عندَه مِن جزاء أعمالهم جميعُ صُنوفِه[1].

لا يضيع الله صالح الأعمال في المـــآب، بل يجازي العاملين بالجنّة وحسن الثّواب

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلالة الفعل الماضي ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾:

التَّعبير بالفعل الماضي ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، يُرادُ به الإيذانُ بتحقُّقِ إجابةِ اللّه تعالى لهم وإيجادُها حَتمًا[2].

في التعبير بالماضي تَحَقُّقُ إجابَة الله تعالى لأهل الإيمان

سِرُّ التَّعبير بـ (استَجابَ) دون (أَجَابَ):

جاء التَّعبير ههنا بالاستِجابة دون الإجابة، فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ وذلك لوجهين:

في إيثار لفظ الاستجابة دفعٌ لاحتمال القبول والردّ

أحدهما: أنَّ فيه الإيماءَ إلى أنَّ اللّه تعالى أعطاهُم مَطلوباتِهم الّتي سألُوها اللّه سبحانه؛ لأنَّ الاستجابةَ دالَّةٌ على القبولِ، بخلاف ما لو وقع التَّعبير بـ (أَجَابَ)؛ فإنَّها لا تدلُّ على قبولِ ما دَعَوا به؛ لأنَّ الإجابةَ تدلُّ على مُطلَق الجواب قبولًا كان ذلك أم ردًّا[3].

والآخر: لِمَا في الاستجابةِ مِنَ الدّلالة على حصول جميع

(1) ابن جرير، جامع البيان: 7/490، وابن جُزيّ، التَّسهيل: 1/174، والسّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 162، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/204، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 76.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/160، وأبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/133.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/202.

مطلوباتِهم؛ وذلك لكثرة مبانيهِ، وزيادةُ المبنى تدلُّ على زيادة المعنى[1]، فلو جاء النَّظمُ القرآنيُّ (فأجابَهم)؛ لاحتمَلَ أنَّ الإجابَةَ - إن وقعَت بإعطائهم مطلوباتِهم - هي في مقابلة مجموع مطلوباتِهم لا جميعِها، بخلاف قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ﴾؛ فإنَّه دالٌّ على إجابة اللّه سبحانه لمطلوباتِهم كلِّهَا.

في إيثار لفظ الاستجابة دلالةٌ على حصول جميع مطلوباتِهم

نُكتة اختيار اسم الله (الرّبّ):

اختيارُ اسم اللّه (الرَّبّ) في قول اللّه سبحانَهُ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ للإشعار بأنَّ استجابةَ اللّه ﷻ لهم هي من باب الإحسان إليهم والتَّفَضُّل عليهم؛ وهو ما تَقتضيه ربوبيَّتُهُ سبحانه على خلقه[2].

مِن آثار ربوبيَّة اللّه تعالى إحسانُهُ إلى عبادِه وتَفَضُّلُه عليهم

تكرّر في دعائهم في الآيات السَّابقة وصف ﴿رَبَّنَا﴾ دون اسم الجلالة لما في وصف الربوبية من الدلالة على الشفقة بالمربوب، ومحبة الخير له، ومن الاعتراف بأنهم عبيده؛ فكان من جميل الرعاية الإضافةُ المفيدة التّشريف والقرب: ﴿رَبُّهُمۡ﴾، وردُّ حسن دعائهم بمثله[3].

أختيار لفظ الربوبيّة ردٌّ لحسن دعائهم بمثله

بلاغةُ الالتفات مِنَ الغَيبة إلى التَّكلُّم وإلى الخطاب:

في قول اللّه تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ التفاتٌ في مَوضِعين:

في الالتفاتِ تَشريفُ اللّه تعالى لعباده، وكمال العناية بهم بتَوجيهِ الخطابِ لهم

أحدهما: الالتفاتُ مِن الغَيبَةِ إلى التَّكلُّم؛ وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي﴾، فالغَيبَةُ في ﴿رَبُّهُمۡ﴾؛ لأنَّ الاسمَ الظَّاهرَ بمنزلة الغائب، والتَّكلُّم في قوله: ﴿أَنِّي﴾.

والآخر: الالتفاتُ مِنَ الغَيبَة إلى الخطاب؛ وذلك في قوله

(1) السّربينيّ، السّراج المنير: 1/276.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/161.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/202.

سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾، فالغَيبَةُ في ﴿لَهُمۡ﴾ و﴿رَبُّهُمۡ﴾، والخطابُ في قوله: ﴿مِّنكُم﴾.

ونُكتَةُ الالتفاتِ: إظهارُ كمالِ العِناية بأَمر الاستجابة في الأوَّل، وتشريفُ الدَّاعين بشرف الخطاب مِنَ اللّه الكريم في الثَّاني[1].

نُكتة التَّعبير عن ترك الإثابة بالإضاعَة:

في التَّعبيرِ بنفي الإضاعة إشارةٌ إلى كمال تنزيهه تعالى عن إضاعة ثواب العامِلِينَ

المُراد بإضاعة العمل المنفيَّة في قول اللّه تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ تركُ الإثابة عليه[2]، وفي هذا التَّعبيرِ إشارةٌ إلى كمال تنزيهه سبحانه عَنِ الإضاعة، بإبرازِها في صورة ما يستحيلُ صدُوره عنه مِنَ النَّقائص والقبائح، وإبراز الإثابَة في صُورة ما يَجِبُ عليه سبحانه[3].

بلاغةُ الإطناب بالاعتراض:

فائدةُ الإطناب بالاعتراض بيانُ سببِ انتظام النِّساء في الوَعدِ معَ الرِّجال

قولُ اللّه تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ اعتراضٌ بينَ الإجمال في قوله: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ والتَّفصيل في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، وفائدتُهُ: بيان سببِ انتظام النِّساء في الوَعدِ معَ الرِّجال؛ فإنَّ كونَ كلِّ واحدٍ منهما مِنَ الآخر؛ لأنَّ أصلهما واحدٌ أو لفرط الاتِّصال بينهما أو لاتِّفاقهما دينًا وعملًا، ممَّا يقتضي التَّشريك والاتِّحاد[4].

تفصيل الإجمال في قوله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾:

عِظَمُ المشقَّة في الأعمال مِن مُقتضيات تَعظيم العاملين

في قول اللّه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ تفصيلٌ لما في العَمَلِ ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ مِنَ الإجمال، وتَعدادٌ لِشَيءٍ مِن أحاسِنِ أفرادِه، وهو أدخَلُ في المدح والتَّعظيم؛ لِما في هذه الأفراد من عظيم المشقَّة على النُّفوس[5].

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 2/378.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 3/169.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/133/134.
(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/134، والزّمَخْشري، الكشّاف: 1/456.
(5) الآلوسّي، روح المعاني: 2/378.

سرُّ التّعريف بالمَوصوليّة في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾:

احتِمالُ المَشَاقِّ في دِيـن اللـه تـعـالى مِـن أَسباب تحصيل الثَّواب الحَسَن

التّعريفُ بالموصول (الذين) من قول الله سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ﴾ يُرادُ به الإيماءُ إلى وجه بناء الخَبَر وتعليل الجزاء، فحُسنُ الثَّواب مُعَلَّلٌ باحتمال المشاقِّ في دين الله تعالى، والصَّبر على الأوامر والنَّواهي؛ وذلك أنَّ حكمةَ الله سبحانه اقتَضَت تعليقَ الثَّواب بالأعمال؛ لئلَّا يتَّكِلَ العبادُ على فضلِهِ سبحانه ويُهملوا العمل رأسًا[1].

توجيهُ عَطفِ الإخراج على الهجرة:

وجـهُ العطف التـفـسـيرُ لـلـهـجـرة، والإشـارةُ إلى أنّ الانتقال كان قسرًا

عَطفُ قول الله سبحانه: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ على قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ يَحتَمِلُ أوجهًا ثلاثة[2]:

أحدها: أن يكونَ مِن عَطف التَّفسير مع بيان العِلَّة؛ وذلك لأنَّ الهجرة تركُ أرضٍ لأرضٍ أخرى، ويُقيَّدُ ذلك بالتَّرك لأجل الدِّين على ما شاع في الاستعمال الشَّرعيِّ، فيكون قولهُ بعدُ: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾؛ تفسيرًا للهجرة، وإشارةً إلى أنّ الانتقال كان قسرًا واضطرارًا؛ لِمَا لحِقَهم من الأذيَّة والظُّلم ما أَلجَأَهُم معه إلى تَرك أرضهم.

ثانيها: أن يكون العطفُ تأسيسًا، إذا حُمِلَتِ الهجرةُ على ترك الشِّرك.

ثالثُها: أن يكونَ مِن عَطفِ العامِّ على الخاصِّ؛ لأنَّ الهجرةَ بعدَ استقرار النَّبيِّ ﷺ بالمدينة يُراد بها: الهجرةُ إلى المدينة النَّبويَّة خاصَّةً، والإخراجُ مِنَ الدِّيار أَعمُّ منه؛ لصِدقِهِ على الهجرة إلى المدينة والهجرة إلى غيرها، فيكون في هذا بيانٌ لفضيلة الهجرة إلى المدينة مِن وجهَين:

(1) النَّيسابُوريّ، غرائب القرآن: 2/334.

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/479، والخفاجيّ، عناية القاضي: 3/91، والآلوسّي، روح المعاني: 2/378.

الأوَّلُ: ذِكرُها مرَّتين؛ إحدَاهما على جهة الانفراد، والأخرى على وجه الاندراج في عموم تَركِ البلد والانتقال إلى غَيرِه، والآخرُ: تقديمُهُ الأخصَّ؛ فإنَّ لِلمُقدَّم مزيَّةً على غيره. ولا منافاةَ بين هذه الأوجه.

نُكتةُ بناء الفعل ﴿وَأُوذُواْ﴾ للمفعول:

في البناء للمفعول إلماحٌ بتحمُّل أهل الإيمان لِصنوفٍ مِنَ الأذى

بُنِيَ الفعلُ ﴿وَأُوذُواْ﴾ للمفعول من قول الله سبحانه: ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾؛ لأنَّ الأذى مكروهٌ لنفسه لا بالنِّسبة إلى معيَّنٍ، وبناءُ الفعل للمفعول أدلُّ على هذا المعنى، وللإيماء إلى لُحوق أنواعٍ مِنَ الأذيَّة لهم، والتَّقديرُ: وأُوذوا بأنواعٍ من الأذى[1].

سرُّ بناء الفعل للمفعول في قوله ﴿وَقُتِلُواْ﴾:

التَّعبيرُ بالبناء للمفعول أدخَل في المدح؛ لدلالته على شجاعة أهل الإيمان باقتحامِهم مُوجباتِ القتل

بُنِيَ الفعلُ ﴿وَقُتِلُواْ﴾ للمفعول مِن قول الله تعالى: ﴿وَقَتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾؛ لأنَّ القتلَ مكروهٌ في ذاته، فوَقع التَّعبيرُ بالبناء للمفعول أدخَل في المدح؛ لأنّه دالٌّ على اقتحامِهم موجبات القتل.

وفي ذِكرِ ﴿وَقُتِلُواْ﴾ بعد ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَرِهِمْ﴾ مراعاةُ نظيرٍ؛ لأنَّهم لمَّا ذُكِرَ نزوحُهُم عن منازل أبدانهم، ذُكِرَ خروجُهم بالقتل عن مساكِن أرواحِهم[2].

براعةُ حُسنِ ترتيب المعطوفات:

بلاغةُ النَّظم القُرآنيّ في سَوقِ المعطوفات ترتيبٌ بديعٌ؛ حيثُ بدأَ بالأخصِّ وهي الهجرةُ؛ ثُمَّ ثنَّى بما هو أعمُّ منه

في قول الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ ترتيبٌ بديعٌ؛ حيثُ بدأَ بالأخصِّ وهي الهجرةُ؛ إذِ الهجرةُ - بعد استقرار النَّبيِّ ﷺ بالمدينة - تنصَرِفُ إلى الهجرة إلى المدينة النَّبويّة، ثُمَّ ثنَّى بما هو أعمُّ منه؛ وهو الإخراجُ مِنَ الدِّيار؛ إذ هو أعمُّ من جهة أنَّه يَصدُقُ على الهجرة إلى المدينة وإلى غيرها، ثُمَّ ثَلَّثَ بذكر الأذيَّة، وهي أعمُّ مِن أن تكونَ بالإخراج مِنَ الدِّيار؛ إذِ الأذى أنواعٌ شتَّى.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/162.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/162.

ثمَّ ذكر الجهادَ والاستشهادَ في سبيل الله تعالى، "فجمعَ بين رُتَبِ هذه الأعمال مِن تَنقيص أحواله في الحياة لأجل دين الله بالمُهاجَرَة، وإخراجه مِن داره وإذايته في اللهِ، ومآله أخيرًا إلى إفنائه بالقتل في سبيل الله"[1].

توجيه القراءات بين ﴿وَقَتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ و(قُتِلُوا وَقَاتَلُوا):

في الجمع بين القراءتين سعةٌ في المعنى، وتكاملٌ في الدّلالة

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ البَزَّار بتقديم الفعل المبنِيِّ للمفعول ﴿وَقُتِلُواْ﴾ على ﴿وَقَتَلُواْ﴾؛ والجمهورُ بتقديم ﴿وَقَتَلُواْ﴾، إلَّا أنَّ ابنَ كثير وابنَ عامرٍ[2] شدَّدوا التَّاء في ﴿وَقُتِلُواْ﴾؛ فقرآهَا: (وَقُتِّلُوا) على معنى التَّكثير والمبالغة[3]، وأمَّا تقديم الفعل المبنِيِّ للمفعول ففي توجيههِ خمسةُ مسالكَ[4]:

أحدها: أنَّه على معنى التَّقديم والتَّأخير، كما في قول الله سبحانه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55]؛ فإنَّ الواو لا تُفيد ترتيبًا.

ثانيها: أنَّ في تقديمه إشعارًا بشدَّة رغبتهم في الإقدام على الخصوم، ودلالةً على شدَّة بأْسِهم وعدمِ وَهَنِهم؛ فَهم يُقاتلون بعد أن يُقتلَ منهم، فلم يهِنُوا بعد قتل أصحابهم.

ثالثُها: أنَّ ذلك حديثٌ عن مجموعهم لا لجميعهم، فيكون المعنى: وقاتَلوا بعد أن رَأَوا كثيرًا مِن أصحابهم قد قُتِلَ.

رابعُها: أنَّه على إضمار (قَد)، والمعنى: وقُتلوا، وقد قاتلوا.

خامسُها: بيان أنَّ المرادَ كونُ الكفّارِ هُم البادئين للقتال، فلمَّا قُتِلَ مِن المؤمنين أُناسٌ؛ قاتَلوا الكفَّار.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/479.
(2) البنَّاء، إتحاف فضلاء البشر، ص: 234.
(3) السَّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/275.
(4) النَّحّاس، إعراب القرآن: 1/195، والسَّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/275، والفارسّي، الحجّة: 3/117، والثَّعلبيّ، الكشف والبيان: 3/235، وابن زَنجلة، حجّة القراءات، ص: 187، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 1/557، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/319، والنَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 1/323، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/162، ورضا، تفسير المنار: 4/252.

سرُّ تأكيد الخبر ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾، و﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾:

أُكِّدَ الخبرانِ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ و﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ باللَّام الواقعة في جواب القسم المحذوف، ونُون التَّوكيد الثَّقيلة؛ تحقيقًا لِوَعد الله تعالى لهم، وتفخيمًا لهذا الجزاء، وتشريفًا له.

فـي التـأكـيـد فـخـامـةُ وَعـد الـلـه تـعـالى، وتـشـريـفُـه، وتحقُّقُه

بلاغة الوَصل في جملة: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾:

وُصِلَ قولُه: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ على قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ لِمَا بَينَ الجملتين مِنَ التَّوسّط بين الكمالين؛ لاتِّحاد الجملتين في الخبريَّة، ويجمعُهُما كونُ كلٍّ واحدٍ منهما ثوابًا مَرجُوًّا في الآخرة، وحَسَّنَ الوصلَ تناسُبُ الجملتين في الفعليَّة.

وجـه الـوصـل اتِّحاد الجملتين في الـخـبـريَّـة، فـكـلٌّ واحـدٍ مـنـهـمـا ثـوابٌ مَرجُوٌّ في الآخرة

علّةُ تقديم تكفير الذُّنوب على إدخال الجنَّة:

قُدِّمَ تكفيرُ الذُّنوب على إدخال الجَنَّة في قول الله سبحانه: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾؛ لما في الأوَّل من إزالة المفاسد، وفي الثَّانية من تحصيل المصالح؛ فهو مِن باب التَّخلية قبل التَّحلية، وفيه تقديمٌ للسَّبب على النتيجة، والمآلِ؛ فلا دخول للجنّة دون كفران للسيئات.

التقديم من باب التَّخلية قبل التَّحلية

نُكتة جمع الجنَّات وتنكيرها:

جُمِعَتِ الجَنَّات في قول الله تعالى: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ للإيماء إلى تعدُّدِها وكثرتِها؛ وذلك أنَّ الجنَّةَ في الآخرة تشتمِلُ على جنانٍ كثيرةٍ، ونُكِّرت؛ للإشعار بتنوُّعِها واختلافِها، وهذا أقوى في التَّرغيب، وأنشَطُ لقلوب المُتلقِّينَ على فعل أسباب تحصيلها.

جمع الجنّات، وتنكيرها أمارةُ عَـظَـمـةِ ثـوابِ الآخرة وتنوُّعِهِ

سرُّ وصف الجنَّات بجري الأنهار من تحتها:

وَصفُ الجنَّات بأنَّها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ يُراد به المدحُ؛ لأنَّ أَحسنَ المياه ما كان جاريًا؛ إذ إنَّ ذلك يقتضي كونَه جديدًا كلَّما

جـريـان أنـهـار الجنّة من كمالِ نعيمها

اغتُرِفَ أَوِ اغتُسِلَ منه، وفيه إشارةٌ إلى دوام الحياة فيها بدلالة الفعل المضارع ﴿تَجۡرِي﴾.

دلالةُ التّعريف في ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وعدم الإضافة:

كُلُّ نعيمٍ في الجنَّة يُتَنَعَّمُ به استقلالًا

اللَّام في الأَنهار يُراد بها تعريفُ الجنس[1]، فيكون في قوَّة النَّكرة، والمعنى: تجري من تحتها أنهارٌ، ويحتملُ أن تكون اللَّام للعهد التَّقديريِّ؛ وذلك أنَّه لَمَّا ذُكرتِ الجنَّاتُ؛ استَحضَرَ السَّامعُ لوازمَها ومقارناتِها، ويَحتَمِل أَن تكون للعهد الخارجيِّ، ويكون المعهودُ هو المذكور في قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [محمّد: 15].

ولَم تُضَفِ الأنهارُ إلى ضمير الجنَّاتِ بأَن يقال: (تَجري مِن تحتها أنهارُها)؛ للإيماء إلى أَنَّ التَّنعُّمَ بالأنهار تنعُّمٌ مستقلٌّ، وليس ذلك تنعُّمًا تابعًا للجنَّات.

دلالة التَّنكير في ﴿ثَوَابٗا﴾:

وجهُ تنكير ثواب اللـه تعالى تعظيمُهُ، وتفخيمُهُ

تنكير ﴿ثَوَابٗا﴾ من قول الله تعالى: ﴿ثَوَابَۢا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ يُرادُ به التَّعظيمُ، ويُؤيِّدُ دلالَتَهُ على التَّعظيم خمسةُ أوجهٍ[2]:

أحدُها: وقوع ﴿ثَوَابٗا﴾ مصدرًا مُؤكِّدًا لفعلٍ محذوفٍ؛ لأنَّ ﴿ثَوَابٗا﴾ واقعٌ مَوقِعَ (إثابةً)، والتَّقدير: أُثيبُهُم إثابةً.

ثانيها: قولُه: ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: أنَّ الثَّوابَ حاصلٌ من اللهِ المتَّصِف بصفات الجلال والجمال، ومنها: الكرمُ والرَّحمةُ، والثَّوابُ ممَّن هذا وصفُهُ لا يكون إلَّا عظيمًا؛ فقوله: ﴿مِّنۡ عِندِ﴾؛ فيه إيماءٌ إلى عظمة الثَّواب؛ لأنَّ الّذي عندَ الله تعالى العظيم، هو في غاية العظمة.

(1) الزَّمَخْشري، الكشَّاف: 1/107.

(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 2/55، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/481، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/191، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 5/163، والخفاجي، عناية القاضي: 3/92، والآلوسيّ، روح المعاني: 2/380.

ثالثها: وصفُ الثَّواب بأنَّه ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ للتَّأكيد؛ لأنَّ الثَّواب لا يكُونُ إلَّا مِن عند الله تعالى، إلَّا أنَّه صُرِّحَ به تعظيمًا وتفخيمًا لشأنه.

رابعُها: الاختصاصُ المستفادُ من قوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: هو المُختصُّ به، كما تقولُ: عندي ما تُريدُ، تقصِدُ: اختصاصَكَ به وتَملُّكَه.

خامسُها: الالتفاتُ في قوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾؛ فإنَّه التفاتٌ من التَّكلُّم في ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ و﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ إلى الغيبة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾، وكان مُقتضى الظَّاهر: ثوابًا من عِندِي، إلَّا أنَّه عُدِلَ إلى أسلوب الغَيبة؛ لما ترتَّبَ عليه من إظهار الاسم الأحسن (الله)، وهو أدلُّ على جلالة الثَّواب من الضَّمير.

دلالةُ تقديم ﴿عِندَهُۥ﴾ على ﴿حُسْنُ﴾:

تقديم الظَّرف ﴿عِندَهُۥ﴾ على ﴿حُسْنُ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: يُرادُ به الاختصاصُ والقَصْرُ؛ إذ إنَّ ذلك من إفاداتِ تقديم ما حقّهُ التّأخير، فحسنُ الثَّواب مُختصٌّ بالله تعالى ولا يقدِرُ عليه غيرُهُ[1].

حسنُ الثَّواب مُختصٌّ بالله تعالى ولا يقدِرُ عليه غيرُهُ

ثُمَّ إنْ أُريد بـ ﴿حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: الجنَّةُ[2]؛ كان القصرُ قصرًا حقيقيًّا، وإن كان المُرادُ مُطلقَ الثَّواب؛ فالقصرُ مجازِيٌّ؛ لبيانِ عِظَم ثوابِه سبحانه، حتَّى كأنَّ كلَّ جزاءٍ للأعمال في الدُّنيا لا يُعدُّ حسنًا أمام ثواب الله سبحانه لعباده المُحسنين[3].

جزاءُ الأعمال في الدُّنيا - وإنْ عَظُمَ - لا يُقارِبُ ثواب الله تعالى لعباده المُحسنينَ

نُكتةُ التَّذييل في الفاصلة:

قولُ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ تذييلٌ جارٍ مَجرَى المثَلِ، سيقَ مساقَ التَّوكيد والتَّقرير لمضمون ما قبلَه؛ ليكونَ ذلك

ثوابُ الله تعالى لا مُنتهى لشرفه

(1) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 1/323.
(2) السَّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/275.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1557.

الثَّوابُ لا مُنتهَى لشرفه؛ لأنّ الله سبحانه لمَّا كان قديرًا عليمًا؛ كان لا مُنتهَى لكرمه وجوده وإحسانه، فكان عنده حسنُ الثَّواب[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الاستجابة والإجابة:

الفرق بينهما من وجهين[2]: أوَّلُها: أنّ الاستجابة أكثرُ حروفًا مِنَ الإجابة، وزيادةُ المبنى يقتضي الزِّيادة في المعنى غالبًا، وزيادةُ المعنى ههنا مِن جهة أنَّ الاستجابَةَ دالَّةٌ على إعطاء جميع المطلوبات. وثانيها: أنَّ الاستجابةَ أخصُّ مِنَ الإجابة؛ لكون الاستجابةِ الجوابَ بما يُوافقُ الدَّاعي، بخلاف الإجابة فقد تكون بموافقتِهِ كما تكونُ بمخالفته.

الأَذى والضَّرر:

يَجمَعُهما أنَّ كليهما شرٌّ ومكروهٌ يَحُلُّ بالعبد، والفرقُ بينهما: أنَّ الأذى هو المكروهُ اليسير والشَّرُّ الخفيفُ، فإذا زادَ ذلك سُمِّيَ: ضَرَرًا[3].

الأَجر والثَّواب والجزاء:

تدلُّ مادَّةُ الأجر - الهمزةُ والجيم والرَّاء - على معنيين: الكِراء على العمل، وجَبرُ العَظم الكسير، ويُجمَعُ بينهما بأنَّ أجرة العامل بمنزلة الشَّيءِ الّذي تُجبَرُ بها حالُهُ فيما أصابَه من كَدٍّ في عمله[4]، وأمَّا الثَّواب فدالٌّ على العَود والرُّجوع، والمُرادُ به: ما يعود على الإنسان من جزاء عمله[5]، وأمَّا الجزاءُ فأصله الغَناءُ والكفايةُ، ويُرادُ به: الكفاية مِنَ المُقابلة إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ[6]. والفرقُ بينها[7]: أنَّ الثَّوابَ يُستعمل في الجزاء بالخير غالبًا، واستعمالُهُ في الشّرِّ أقلُّ، وأمَّا الجزاءُ فهو المقابلة على الخيرِ بالثَّواب، وعلى الشَّرِّ بالعقاب، وأمَّا الأجرُ فلا يُستعمل إلَّا في النَّفع دُون الضّرِّ، ويتضمَّن معنى المعاوضة، فالأجرُ أخصُّ مِنَ الثَّواب والجزاءِ، من جهة اختصاصه بالخير، بخلاف الثَّواب والجزاء

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 9/471، والآلوسّي، روح المعاني: 2/380.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 8/109، و13/362، والشّربينيّ، السّراج المنير: 1/276، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/202.
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (أذى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(5) القاضي عيّاض، مشارق الأنوار: (ثوب).
(6) الرّاغب، المفردات: (جزا).
(7) داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 46 - 48، الدُّوريّ، دقائق الفروق اللغوية، ص: 164 - 166.

فهما أعمُّ؛ لجريانِهما في الخير والشَّرِّ، والثَّواب أخصُّ مِنَ الأجر والجزاء مِن جهة أنَّهُ لا يُستعمل في المنافع المادِّيَّة أو الدُّنيوِيَّة، بخلاف الأَجر والجزاء؛ فإنَّهما يقعان على المنافع الدُّنيَويَّة والمنافع الأُخرَويَّة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»